جورج الزعني

بيار أبي صعب

ثلاث صور لـ جورج الزعني (1942 - 2015). الصورة الأولى في شارع المكحول، خلال الحرب الأهليّة. أو بالأحرى «جمهوريّة المكحول»، وكانت تختصر روح «بيروت الغربيّة» التي تغلي بالأفكار والتجارب والتيارات، بمقاه وصفحات جرائد تغص بالكتاب والمثقفين والمناضلين العرب، بغاليريهات ومسارح وسينمات وصحف ومجلات وكتب وكاسيتات... وبمشاريع قوميّة وثوريّة. في الـ «سماغلز إن» تحديداً، ذات ليلة شتائيّة باردة، أذكر كل تفاصيلها. معطف طالب «معهد الفنون» البالي الذي كنت أرتديه، إنتبهت كم هو بال لما دخلنا إلى السماغلرز. هذا الفضاء الذي أطلق فيه الزعنّي فنانين، وشارك في كتابة صفحات من تاريخنا التشكيلي وذاكرتنا الثقافيّة. أذكر الأجواء الخاصة في الداخل بين إضاءة خافتة وموسيقى مريحة، الكنبات التي جلسنا إليها. لا أعرف لماذا أخذَنا عباس بيضون إلى السماغلرز، سيتا مانوكيان وأنا. كنت ذلك الصحافي المبتدئ الذي يعبر المتحف سيراً على الاقدام، ثم يركب السرفيس من البربير إلى الحمرا، ليكون حيث يجب أن يكون: في مركز العالم. أذكر دقّات القلب المتسارعة وأنا داخل الى السماغلرز. اللوحات المعلّقة على الجدران لبعض أهم فنّاني السبعينيات. صحون الفتوش التي أتى بها جورج بقامته الطويلة والرشيقة، قبل أن يجلس معنا. كنا نتابع أخباره في الصحف، ونُقبِل على المعارض والاحداث الثقافية التي ينظمها، كان وجهاً لا يمكن تجاهله في حياة المدينة. مؤسسة ثقافية بحد ذاتها. وها أنا أجلس قبالته في ذلك المكان المدهش، خارج الزمن، ولكن في قلب الحدث. أذكر أناقته وتلك البسمة الغريبة على وجهه، ذلك الشغف الأنثوي حين بدأ بالكلام. فهمت بعدها بسنوات، عندما صرت أعرفه جيّداً، أن الرجل، الذوّاقة، المرهف، العاطفي، الغَيْري، الأنيق دائماً، اللائق في تعاطيه مع الناس وأشياء الحياة كما يتعاطى مع اللوحات، والقصائد، والألحان، والأفكار... أن هذا الرجل مسرف في الكلام. وفهمت أنّها طريقته في اعادة ترميم العالم المتصدّع. بدأ بالكلام فصمت الجميع. عندما يتحدث جورج ليس لك الخيار: عليك أن تستمع. ليلتها صرت من المعجبين السريين بجورج الزعني!

الصورة الثانية في لندن. وسط حلقة من جيرانه وزملائه وأصدقائه. الاستقبال الأنيق نفسه. لا أعرف لماذا تذكرت جلسة الـ «سماغلز إن» قبل عشرين عاماً. واعترتني الرجفة القديمة إيّاها. كان الوقت قد مرّ، وخسرنا الكثير من أوهامنا. إلا جورج، كان يحاصرك بالتفاؤل القديم عينه، وبالأحاديث الجارفة التي لا تنتهي. حمل كل بيروته إلى باترسي، الذكريات والحكايات واللوحات التي تكتسح أدنى سنتمتر مربّع في شقّته. لكل لوحة قصّة، وكل القصص تعيدك إلى بيروت. قصص يختلط فيها لبنان بفلسطين والمقاومة، وتسكنها وجوه أهم الفنانين والكتاب العرب صنّاع العصر الذهبي للمدينة. ليلتها، فيما ضيوفه يرقصون ويشربون، أعدنا في زاوية الصالون صياغة التاريخ الفنّي لبيروت. تفرّجت عليه بفضول ودهشة مثل أيّام المكحول، وهو يحكي عن الكتاب والفنانين كأنّه يروي سيرته الذاتيّة. كانت السماغلرز بعيدة. فجّروها، وسافر. في قرارة نفسه، لمست ذلك الحزن، كان يعرف، وكنا نعرف، ألا معنى لوجوده إلا في بيروت. ليعوّض غيابه، نظم في لندن عدداً لا يحصى من النشاطات والمعارض، وكان موضوعها غالباً وطنياً. كان يهستر عليّ حين أقول إن بيروته انتهت إلى غير رجعة. ذات مرّة، جاء إلى مكتبي في «الحياة»، من دون أن يكلّمني، تناول ورقة وقلماً سميكاً وكتب بالفرنسيّة: «على بيار أن يذهب إلى الدكان ويشتري مئتي غرام نَفَساً إيجابياً»، علّقها فوقي على اللوح ومضى.

الصورة الثالثة في بيروت الحريريّة. عاد جورج، نعم عاد، ليلمس أن كل شيء تغيّر. ظهر منظمو معارض آخرون، صرنا نسمّيهم Curators. أيّام كان جورج يجمع القصائد واللوحات حول موضوعة محددة، فيخلق المعنى، لم يكن اسمه كذلك. والتجهيزات التي كان يخلقها لم نكن نسميها «تجهيزاً». لم نكن نعرف بصراحة! كلما التقيته، كنت أراه انعكاساً لجورج آخر من زمن آخر. واستمع الى مشاريعه الكثيرة التي يجب أن نكتب عنها! جاء مرّة إلى مكتب «الأخبار» ولم أكن في استقباله. ترك رسالة تأنيب، بأسلوبه الودود والمتعالي في آن. كنت أريد أن أقول له إن بيروت انتهت، إن بيروت لم تعد لنا، إننا نعيش في مدينة «الفن المعولم». لم أجد الفرصة لذلك. لم أجد الجرأة الكافية ذلك. هكذا ذهب جورج الزعنّي ولما يدرك أن مدينتنا نحن، سبقته إلى الأسطورة.

يحتفل بالصلاة لراحة نفسه الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم في «كنيسة مار الياس» (القنطاري- بيروت)

فنون بصرية

حليم جرداق: تجربة ريادية من المستقبل

حسين بن حمزة

عاصر حليم جرداق (1927) كل أجيال المحترف اللبناني تقريباً، فقد بدأ الرسم مع نضج تجارب الرواد الأوائل، ودرس الفن في لبنان قبل أن يذهب إلى باريس سنة 1957، ويعرّض تجربته لتأثير التيارات والأساليب الأكثر حداثة وتجريباً حينذاك. الفنان اللبناني الذي اشتهر بفرادة محفوراته، واشتغاله على ممارسات وتقنيات منفتحة على التجريب والتلقائية، ظل حديثاً وظلت لوحته حديثة، وظل معاصراً بطريقة ما لمجايليه ولمن جاؤوا بعده أيضاً.

معرضه «أعمال مميزة» الذي افتُتح أخيراً في غاليري «جانين ربيز» يعيد إلينا تلك «اللمسة» الحديثة التي لا نزال نراها في أعماله الموزعة بين الحفر والكولاج والنقش ومجسمات النحاس والتخطيطات التجريدية والمائيات والباستيل. وتتعزز هذه اللمسة أكثر حين تحضر في أعمال تعود إلى منتصف الخمسينات من القرن الماضي، مثلما تحضر في أعمال أحدث تعود إلى سنة 2003.

كأنّ جرداق بدأ ناضجاً واستمر كذلك، من دون أن ننسى طبعاً تأثير إقامته ودراسته الباريسية على ذلك، حيث غرف من تأثيرات التكعيبية والوحشية والتجريد والسريالية، وتسربت إلى أعماله تأثيرات قوية من فناني حركة «كوبرا» التي خلط مؤسسوها، وخصوصاً كارل آبل (1921 – 2006)، بين ممارسات فنية عديدة، وتحرروا من المصطلحات والتعريفات العريضة لصالح اللعب والتحرر والتجريب.

أهمية جرداق أنه انجذب إلى الحاضر والمستقبل، وأنجز أعمالاً لائقة بزمن إنجازها، وقادرة في الوقت نفسه على الذهاب في الزمن والصمود أمام التقادم الطبيعي.

أعمال جرداق مهمة ليس لأنها من صنع معلّم كبير بل لأنها حديثة فعلاً. ليس العِتق النوستالجي الذي ينبعث عادة من أي عمل فني قديم هو الذي يصنع إعجابنا بأعماله، بل لأن هذه الأعمال نفسها قادرة على تمديد هذا الإعجاب وإدامته، وهو ما يحدث في تجاور أعمال من أزمنة متعددة داخل فضاء المعرض الذي يبدو استعادة، وإن انتقائية، لمسيرة جرداق «صاحب الرؤيا، وصاحب المغامرة» بحسب كلمة الناقد والفنان سمير الصايغ الذي يشير أيضاً في تقديمه للمعرض إلى أهمية ما كتبه جرداق في كتابيه «تحولات الخط واللون» و«عين الرضا»، بينما الراحلة هلن الخال في شهادة مكتوبة عام 1967، تدعونا إلى تتبع إيحاءات شرق آسيوية ويابانية وهندسة السجاد الفارسي في أعماله. والواقع أن هذه الإيحاءات متأتية من اللعب والنبرة المينيمالية المتحررة في أغلب لوحات جرداق المنجزة أصلاً بخطوط بسيطة وقليلة وخافتة، تحافظ على تلك البساطة في الأعمال الملونة وفي الكولاج، بينما أشغاله المعدنية ومصوغاته النحاسية تبدو أكثر رقة وبساطة، كما أن بعض التخطيطات التجريدية تبدو مثل حروف غامضة في أبجدية مجهولة يمكنها أن تخلق صلة ما للفنان بأشكال ومحفورات موجودة في الآثار والفنون القديمة للمنطقة أيضاً.

كل هذه الإشارات والإيحاءات ترافقنا ونحن نتأمل مهارة حليم جرداق في تأليف لوحاته ومجسّماته ومحفوراته. ننتبه إلى صياغاته الذكية في الكولاج، حيث يلصق تخطيطاً قديماً أو جزءاً من لوحة سابقة له بجوار لوحة جديدة مرسومة أصلاً بمزاج اللعب والعفوية. وننتبه أن الكولاج هنا ليس مكلّفاً بمهمة صنع مفارقة لونية أو شكلانية، وليس موجوداً لكسر سياق اللوحة وتشويش عناصرها، بل يتحول إلى جزء جوهري في تأليف اللوحة ونسيجها. الكولاج هو رسم إضافي وليس تدخلاً خارجياً في مبدأ اللوحة. وننتبه كذلك إلى المهارة المتأتية من اللعب والعفوية في تخطيطاته التجريدية التي تخلط الهندسة الشكلانية مع غنائية منضبطة تنتج عن تجاور الخطوط أو تمايلها وتموّجها في حركة حُلمية ورجراجة. وتُلفتنا محفوراته بالأبيض والأسود، وتلك الملونة أيضاً. ونتوقف مطولاً أمام براعته في التصرف بالنحاس والمعدن بصبر صائغي الذهب والمعادن الثمينة. إنها تصاميم واشغال متناهية في الصغر والدقة أكثر من كونها بحثاً نحتياً واضحاً ومقيداً بعلاقات الكتلة والفراغ، وبعضها يبدو مثل خيوط وأسلاك منسدلة من الأعالى أو صاعدة من الأسفل.

اللمسة الحديثة التي تحدثنا عنها تواصل إرسال انطباعات مدهشة وجديدة. يحدث ذلك في أعمال مبكرة وأعمال أحدث. لمسة لا تزال شابة ويانعة في تجربة حليم جرداق الذي وصل إلى عامه الثامن والثمانين، وظل محتفظاً بروحية الخربشة واللعب والتجريب.

«من دون عنوان» (2000 ــ كولاج على ورق نقش ــ 47 × 71 سنتم)

> **إيحاءات شرق آسيوية ويابانية وهندسة السجاد الفارسي في أعماله**

«حليم جرداق: أعمال مميزة»: حتى 31 كانون الأول (ديسمبر) ـ غاليري «جانين ربيز» (الروشة) ـ للاستعلام: 01/868290

نقد

شوقي شمعون: جدارية آمنة

يصف شوقي شمعون معرضه A Happening Installation بأنه حدثٌ «راديكالي»، وهذا عائدٌ إلى أن المعرض هو لوحة واحدة أو لنقل جدارية لونية متتالية منجزة على ورق، ومعروضة مثل بكرة رول مفتوحة وملصقة على جدران غاليري «مارك هاشم» التي تحتضن المعرض. يكتسب العرض بهذه الطريقة معانيَ تجهيزية وإن كانت خفيفة، ولكن الأساس يظل أننا نرى لوحات متتالية داخل لوحة واحدة، بينما اللحظة «الراديكالية» لا تصمد كثيراً أمام المقترح التسويقي الذي يقوم عليه العرض. أغلب الموجودات الحاضرة في الجدارية سبق أن شاهدناها في أعماله ومعارضه السابقة، من القامات البشرية المتلاصقة المرسومة بمزاج تعبيري مقتضب، إلى الأرتال البشرية المتناهية في الصغر التي تصطف أسفل لوحة تتسدل من أعلاها ستائر أو صفائح لونية عملاقة، ثم الأشكال ذاتها وهي تائهة وضئيلة في فضاء بأمداء مفتوحة، وإلى النساء العاريات المتلاصقات بنفس الطريقة والتقنية.

من المعرض (حبر على ورق ـ 2015)

يتوالى هذا «الرول» الشكلاني من دون مفاجأة أو انعطافة يمكن أن تسمح بانبعاث انطباعات مختلفة. المفاجأة الوحيدة ربما هي في تنفيذ الجدارية المتطاولة وحدها، وفي طريقة عرضها، أما الباقي فهو رسومات جاهزة لا تثير أي قلق لدى الرسام اللبناني نفسه، فهو يرسم أشياء يعرفها ولا يأتي بجديد فيها. هذا لا يلغي الأهمية الأسلوبية لتجربة شوقي شمعون ذات التأثيرات التجريدية الأميركية، ولا يلغي جماليات التعبير فيها. لقد استثمر الفنان تلك التأثيرات، وخصوصاً تجريدات جاكسون بولوك الفريدة، ومزجها مع مدونته المشرقية ولونياتها وأطروحاتها المحلية، وقدم أعمالاً لافتة بقوتها الشكلانية وتعبيراتها التجريدية القائمة على جزئيات واقعية وتشخيصية ذكية. ولكن الاعتراف بكل ذلك لا يلغي، بالمقابل، أن المعرض يضم لوحات متصالحة مع نفسها، وأن الرسام مستسلم لفكرة أن يعرض رسومات آمنة لا يواجه فيها تحدياتٍ أو مغامرة جديدة. وتلك اللوحات التي سبق أن امتدحناها في معارض سابقة لا تدفعنا الآن إلا إلى تأمل أدائها المتكرر وغير الحيوي هنا. أما اللحظة «الراديكالية» التي تحدث عنها الرسام فهي على الأرجح موجودة في شكلانية العرض، وربما في بُعده التسويقي والتزييني أيضاً. ليست هناك مشكلة في فكرة التسويق طبعاً، ولكن ما نراه هو أعمالٌ يحدث فيها الرسم على السطح ويفتقر إلى تلك العاطفة أو ذاك الأسى الذي ينزل عادةً على اللوحة مع ضربات الخط واللون.

حسين ...

شوقي شمعون: A Happening Installation: حتى 16 كانون الأول (ديسمبر) ـ غاليري «مارك هاشم» (وسط بيروت). للاستعلام: 01/999313.